الأدوات و المعارف المساعدة على شرح و تفسير النصوص القرائية بالتعليم الثانوي

أ. عبد الله آيت الاعشير

١- ابتســـــار:

إذا أحسنا الفهم و التدبير لواقع المؤسسة التعليمية المغربية الراهنة، ألفينا البحث عن الجودة- في ظل الظروف الآنفة- عنقاء مجنحة، بل هي أعز من بيض الأنوق، لايستطيع العثور على نفائسها إلا خبير محكم شراب بأنقع استوشى حقيقة الوضع، فذهب في كل واد يسوق المرجوح من الحلول قبل أن يتسع الخرق على الراقع ويبلغ الأمر المذمر.وفي هذه السبيل الناهجة تأتي هذه المقالة التي تزعم لنفسها السعي إلى تذويب الفوارق بين الأساتيذ، مع الحرص على الإقبال على البحث لأجل تحصيل جملة من الأدوات والإجراءات الميسرة لفهم النصوص، من دون الاقتصار على الاستعانة دوماً بجحافل النقد الأجنبي الذي يصدر نماذجه إلينا منمقة لتصادر منا الهوية، وتجعل عملية إقراء النصوص بعيدة عن لعب دور تأهيل التعامل مع لغة النص معاملة الصائغ الذي ينثر أمامه الجواهر ليفحصها وينتقر منها الجوهرة المناسبة لكل موضوع، وهو في أثناء اعتيامه وانتقاره يحرص على جواهره جميعها.

الحق أنه لا عاصم لنا اليوم من اتباع السبيل الناهجة، مع الحرص على وضع صوى ومنارات تهدي وتضيء ما أغطش من جسد النصوص القرائية من خلال اتباع الطرق التي اعتمدها الحذاق البصراء بأفانين النصوص، إذ هناك علوم و معارف تعد بمثابة العمدة و الآلة وكمال العرفان لمن أراد أن يتواصل مع النصوص الأدبية، التي لا تقدم مادتها الفنية عارية، رغبة من المفن في أن يودع أكثر و أبدع اللطائف في ما ينشىء ، من خلال تنويع الألفاظ، والجمع بين المترادفين الذي يحمل معنى لا يوجد عند انفرادهما، حيث يضيف التركيب معنى زائدا مثل قولنا: (هذا المتكبر صدره ضيق حرج) او قول: (طائر أسود غربيب)= أسود فاحم. ومنه قوله تعالى:» قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا» الحديد ١٣ فكأنه أعاد ارجعوا مرتين من خلال الإتيان بلفظة (وراءكم).

من أجل هذا فإن قارئ النصوص ومفسرها لا يكون ماهرا بصناعته إلا من خلال تحصيل جملة من القواعد والآلات الضرورية منها:

× الامتلاء و التبحر في معرفة لسان العرب وطرائقهم في تأليف الكلام، رغبة في توجيه الألفاظ المحتملة لأكثر من معنى إلى المعنى المقصود، من خلال اعتماد استراتيجية الانتقاء و الاعتيام التي تقصي المعاني التي لا يستدعيها سياق الكلام.

× المقتضيات النفسية و العقلية و الاجتماعية التي ولدت و نشأت فيها الكلمة، حيث إن لكل كلمة تاريخهـــا و دلالتها التي لا تتجاوزها و لاتقصر عنها.

× معرفة التغيرات الدلالية التي قد تلحق بالألفاظ من خلال عمليات النقل الدلالية.

× معرفة التقديم و التأخير و أثرهما في إخراج الكلام في صورة أبلغ وآكد.

× معرفة التداوليات، ولذلك قال أحدهم: لا تسألني عن المعنى، بقدر ما تسألني عن الاستعمال، لأن الاستعمال هو المحدد الأساس للمعاني التركيبية.

× اعتبار معنى السياق لأجل تطويق الدلالة التي يفيدها السياق من خلال إعادة بناء المعنى، بواسطة محددات توضح المراد...

× الترخص في الصيغ و القرائن... حيث تأتي صيغة على وزن فاعل و المراد هو المفعول. وهلمجرا.

× معرفة علوم البلاغة(المعاني و البيان ثم البديع).

× معرفة موسيقى الشعر العربي(عروض الشعر و ميزانه و قوافيه...)

× معرفة كيفية الانتقال من القراءة الاستكشافية التي لا تتعدى حدود المسح البصري للنص، أو الكشف المعجمي لكلمه، إلى القراءة الإبداعية الاستيعابية التي تكشف عن المخبوء و المستور الذي تخفيه الكلمات والصور والتعابير...

× بلورة معايير أدبية فنية خاضعة لمصفاة النقل اللقاني لإقراء النصوص.

ويمكن تفصيل ما أجمل في النقط الآتية التي لا أزعم أنها بمثابة وصفة سحرية تستطيع لي أعناق النصوص، بقدر ما هي أدوات مساعدة تنطلق من اللغة. تسير في كل الدروب القريبة و البعيدة، ثم تستأنف الرحلة، وتأخذ النفس منها للزيادة في الفائدة. وإليكم جملة من هذه المعارف والآليات:

٢- معرفة معاني الأدوات :

يؤكد الحذاق البصراء الذابرون في آلات علوم العربية، أن من تمام شرائط المعرفة بأفانين العربية أن يكون المقبل على البحث ممتلئا من دقائقها و أسرارها، ولا يكون الباحث كذلك إلا بتحصيل جملة من القواعد والمعارف منها: معرفة معاني الأدوات التي يقصد بها الحروف وما ضارعها من الظروف والأسماء والأفعال. انظر إلى قوله تعالى في استعماله لحرفي الجر(على) و (في) في هذه الآية الكريمة من سورة سبأ حيث قال «وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين» حيث استعملت (على) في جانب الهدى و (في) للضلال، لأن صاحب الهدى دائما في علو، وصاحب الضلال في سفالة. لذا فإن الأسماء و الأفعال هي عناصر لغوية بمثابة اللبنات المفككة المرصوصة، لا يجعلها حائطا مبنيا إلا هذه الأدوات التي تربط اللبنة إلى أختها، و لذلك كان دور الأدوات خطيرا. والحق أن تمام المعرفة تغري بالوقوف عليها أداة أداة، لكن ملابسات هذا اللقاء لا تسمح بذلك، لأجل ذلك لا بد من النظر إلى نيف منها أو بعضها نظرة الطائر مبتدئا بالهمزة التي تعد أصل أدوات الاستفهام ولذلك فهي ترد للتصور و التصديق معا، كما أنها تدخل على الجملة المثبتة(أأنت فعلت هذا بآلهتنا؟) وعلى المنفية:(ألم نشرح لك صدرك) لتفيد إما التذكر و التنبيه، أو التحذيـر (ألم نهلك الأولين...)، وعلى الجملة لا يستفهم بها حتى يظن إثبات ما يستفهم عنه، بخلاف (هل) فإنه لا يترجح فيها نفي و لا إثبات.

ألا : هكذا بالفتح و التخفيف وهي إما للتنبيه فتدل على تحقق ما يأتي بعدها مثل قول القائل: (ألا إنهم هم الفائزون) أو للتحضيض و العرض حيث يغدو التحضيض طلبا بحث ،و العرض طلب بلين مثل قول الشاعر:

ألا لا تلوماني كفـى اللـوم ما بيـا فما لكما في اللوم خير و لا ليـا

أما الطلب بلين فمثل قوله تعالى من سورة النور:» ألا تحبون أن يغفر الله لكم».

ظن: وفيه نكتة بالغة حيث إن استعمال (ظن) مع (أنّ) الخفيفة يفيد الشك مثل قوله تعالى: « بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول» سورة الفتح أما استعمال (ظن) مع (أنَّ) فيفيد اليقين مثل قوله تعالى من سورة القيامة: « وظن أنه الفراق» أي بمعنى أيقن. قال ابن الأنبا ري العرب تجعل الظن علما وشكا وكذبا مثل قوله تعالى من سورة الجاثية:» إن هم إلا يظنون» أي يكذبون. هذه نغبة من يم هذه الأدوات، أقف بها عند هذا الحد راجيا أن يرجع القارئ إلى معانيها في أمَّات المعجمات وفي المصادر المهتمة بفقه اللغة وأسرارها.

٣- معرفة الضمائر:

أصل وضع الضمير يرجع إلى الرغبة في اختصار الكلام. والضمائر إما متصلة أو منفصلة. وعلى الجملة لا يلتجأ إلى المنفصل إلا بعد تعذر المتصل مثل أن يقع في الابتداء(إياك نعبد) أو بعد (إلا) مثل قولنا (لا نعبد إلا إياه).

ولابد للضمير من مرجع يعود إليه يكون ملفوظا أو متضمنا له أو دالا عليه بالالتزام، أو قد يفيده السياق. مثل قوله تعالى(كل من عليها فان) على الأرض. وقد يعود على ملابس ما هو له مثل قوله تعالى من سورة النازعات(إلا عشية

أو ضحاها) و المراد ضحى يومها ، لأن العشية لا ضحى لها. وقد يثنى الضمير ويود على أحد المذكورين كما في قوله تعالى:» يخرج منهما اللؤلؤ و المرجان» و الحق أنه يخرج من البحر الملح فقط، ولا يخرج من اليم العذب.

١- ضمير الفصل: يقع بعد مبتدأ أو ما أصله المبتدأ، وقبل الخبر، ولا محل له من الإعراب وله ثلاث فوائد هي:

× الإشعار بأن ما بعده خبر وليس بتابع وقد اجتمعت هذه الفوائد في قوله تعالى:» أولئك هم المفلحون».

× التأكيد لأنه يدعم به الكلام.

× الاختصاص.

٢- ضمير الشأن : فائدته الدلالة على تعظيم المخبر عنه وتفخيمه، وذلك بأن يذكر مبهما ثم يتم تفسيره مثل قول البارودي:

هو البين حتى لا سلام ولا رد ولا نظرة يقضي بها حقه الوَجد

وهو ضمير يختص بأشياء منها :× لزوم الإفراد ×و لزوم العودة على ما بعده × ومفسره لا يكون إلا جملة × ولا يتبع بتابع × ثم لا يعمل فيه إلا الابتداء.

٤- معرفة بعض الأسرار بالنسبة لجمع وإفراد بعض الكلمات :

لقد دبج أبيناء الكلام العربي كتبا في الحديث عن أسرار اللغة العربية نجتزئ منها بعض الإشارات المساعدة على إدراك جمال العربية منها:

لفظتا (النار والجنة) فالنار واحدة ولذلك يحسن بقاؤها مفردة. أما الجنة فهي جنان عديدة ولذلك يجوز جمعها أو إفرادها حسب السياق. وقد احترم القرآن الكريم هذا المنزع الأسلوبي.

× لفظتا (النور والظلمات) فالنور بمنزلة طريق الحق. والظلمات بمنزلة طرق الباطل ولذلك أفراد القرآن هذه الكلمة ، وجمع لفظة (الظلمات) .

× لفظتا (السماء والأرض) حيث وقعت الأرض في القرآن فهي مفردة نظرا لثقل جمعها (الأرضون) أما السماء فحينما يراد العدد ترد جمعا (بديع السماوات) (سبع سماوات) ...(سبح لله ما في السماوات) ... وحينما تراد الجهة ترد اللفظة بصيغة الإفراد(وفي السماء رزقكم) (أنزل من السماء ماء) (يرسل السماء عليكم).

× لفظتا (الصديق و الشفيع): يحسن إفراد الصديق وجمع الشفيع و الحكمة في ذلك قلة الصديق وكثرة الشفعاء. وقد ورد مثل هذا في قوله تعالى من سورة الشعراء(فما لنا من شافعين و لاصديق حميم» آية ١٠٠ و١٠١ ومن ذلك لفظة(الألباب) الذي يحسن جمعها أما إفرادها فيأتي ثقيلا جدا.

× وقبل أن أغلق هذا الباب أود الإشارة إلى بعض النكت و اللمسات البيانية البديعة بالنسبة إلى بعض الكلمات ومنها:

× لفظة(اليد) عندما تجمع هكذا(أيدي) تعني العضو المعروف. وعندما تجمع (أيادي) فهي خاصة بالنعمة.

× لفظة (الأخ): عندما تجمع هكذا (إخوة) تدل على النسب أو الأخوة النسبية وعندما تجمع (إخوان) للدلالة على الصداقة. هذا هو الغالب الأعم.

× لفظة(البار) عندما تجمع(أبرار) تأتي لصفة الآدميين. وعندما تجمع (بررة) تأتي في صفة الملائكة.

× (أمات: أمهات)، نقول أمات المعجمات، والأمهات المرضعات.

× لفظة (العين) عندما تجمع جمع قلة (أعين) فهي للدلالة على العضو المعروف لدى المخلوقات، وعندما تجمع جمع كثرة(عيون) فهي للدلالة على مجاري المياه ومنابعها، وهذا هو عين الفصاحة التي لم يفارقها القرآن الكريم.

٥- معرفـــة أشباه الترادف:

رغم أنني لا أرغب في الاتكال على تنقيب زيد أو عمرو في هذا الباب، إلا أنني أينما يممت وجهتي ألفيت الخناذيذ

الحذاق اللاسنين قد أتوا على عرض كل شاردة في هذا المجال، لذلك لابد من أن أتسور عليهم، وأغترف نغبة من يمهم في عرض بعض الألفاظ التي يظن أنها مترادفة، وهي عند التمحيص والتدقيق يختص كل منها بدلالة محددة سوف أقرو معانيها، وأكتلىء دلالاتها للتأكد على عجائب العربية ولطائفها وكنوزها ودقتها. وسوف أبدأ بما أحسبه سليما من المطاعن و المغامز. من ذلك:

- النأي : البعد: إن النأي يكون لما ذهب عن الإنسان إلى حيث بلغ، وأدنى ذلك يقال له نأي. أما البعد فهو تحقيق النزوح و الذهاب إلى الموضع السحيق. قال الحطيئة:

ألا حبذا هند و أرض بها هند وهند أتى من دونها النأي و البعد.

إذ المراد هو أن هندا أتى من دونها النأي الذي يكون أول البعد، والبعد الذي بلغ الغاية فلا تلاقي بعد ذلك.

× البضع والنيف: كان الأقدمون يحترسون في أثناء تدبيج مقالاتهم احتراسا يقيل عنهم عيوب الكلام، لذلك كانت كتاباتهم أعز من أن يعثر فيها على شائنة، لكن ما نخطه اليوم بأقلامنا لا يراعي حرمة للعربية، ولا يتنبه للفوارق الدقيقة بين الألفاظ، ومن ثمة ترى المفنين المعاصرين يضعون هذه الكلمة مكان الأخرى من دون مراعاة الفارق الدلالي بينهما مثل: (بضع) التي لا تستعمل إلا عندما يكون العدد من ثلاثة إلى تسعة. أما (النيف) فهي تعني التعبير عن العدد الذي يزيد عن عدد آخر بواحد أو اثنين.(نيف وسبعون).

× أعتد: أعد: (أعتد) تستعمل في أثناء سرعة الحضور و الإعداد، بينما (أعد) تستعمل مع التراخي في الإعداد.

× كننت الشيء و أكننته: كَنَنْتُ: صُنْتُ أما (أكننت الشيء فيعني أخفيته في نفسي و في القرآن نقرأ: (لؤلؤ مكنون) (أكننتم في أنفسكم).

× الخشية و الخوف: إذ أن الخشية هي أشد من الخوف وهي من قولنا: شجرة خشية أي يابسة. أما الخوف فهي من قولنا: ناقة خوفاء أي بها داء، ولذلك فرق القرآن الكريم بين اللفظين في قوله تعالى» يخشون ربهم و يخافون سوء الحساب» الرعد آية ٢١ فالخشية تكون من عظم المختشى، و الخوف من ضعف الخائف.

× السنة و العام: إذ درج البلغاء على استعمال لفظة (السنة) في الحول الذي فيه الشدة و الجدب. أما(العام) فقد استعملوه لما فيه الرخاء و الخصب وبهذا تظهر النكتة في سورة يوسف عندما فسر رؤيا الملك في قوله تعالى» قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلا مما تأكلون ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلا مما تحصنون، ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون» آيات ٤٧ و ٤٨ ثم ٤٩.

× سقى وأسقى: فلفظة (سقى) تستعمل لما لا كلفة فيه ولذلك فإن شراب الجنة يعبر عنه بسقى» وسقاهم ربهم شرابا طهورا.» الإنسان ٢١. أما لفظة أسقى فلا تستعمل إلا لما فيه كلفة.وقد أشار القرآن لذلك في سورة الجن « وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا».

× مد وأمد: الإمداد لا يكون إلا في الشيء المحبوب (أمددناهم بفاكهة) الطور ٢٢ والمد يكون في المبغوض المكروه والمحبوب (ونمد له من العذاب مدا) سورة مريم ٧٩ « كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك».

× هكذا يبدو أن قضية أشباه الترادف تعد في العربية طويلة الذيل ، قليلة النيل إلا لمن أعرق في يم العربية الذي لا ينكش. من ذلك مثلا ألفاظ : الأيدي والأيادي ، والأمات والأمهات. والمائدة والخوان، والغلط والخطأ، والتمام والكمال، والإعطاء والإتيان ، والمطر والغيث والريح القاصف والعاصف، ونفش وهمل، والحث والحض ، والعصا والمنساة، والتتابع والتتايع، والخضم والقضم، والذنب والذنابى. وسواء وسواسية ... وقد قدمت ذروا من القول في هذا الباب الذي لا تحيط به المعرفة إلا لمن أعرق في البحث ومخض العلم بأسرار العربية، لا يشق له فيها غبار.

٦- معرفة وجوه المعاني للكلمة الواحدة حسب السياق:

إن الذي ينتقل بين متحف الكلمات العربية الأبكار يلاحظ بإيمان لا يساوره رسيس من الريب أن الكلمة الواحدة في العربية تتصرف إلى أكثر من وجه ومعنى ، ولذلك قيل في القرآن : « لا يكون الرجل فقيها كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوها كثيرة» الإتقان في علوم القرآن – المجلد الأول – الجزء II ص٨١ .

إذ أن معنى الخطاب لا يعرف من اللفظة إلا بعد استيفاء واستكمال الدلالة السياقية، ولهذا جاز وقوع اللفظة الواحدة على أكثر من معنى، فيأتي السياق لترجيح أحد المعنيين على الآخر. قال تعالى « الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم « حيث إن المراد هم الذين يتيقنون من ذلك لأن السياق يفيد المدح ، لذا لا يمكن أن يمدح الله قوما بالشك في لقائه. وقال أيضا عن يونس: « وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه» أراد رجا ذلك وطمع فيه. ولا يمكن أن يقول مسلم أن يونس هنا تيقن أن الله لن يقدر عليه. انظر المزهر ج ١- ص ٣٩٨ .

وإليكم أمثلة تجلو المراد من الجواهر التي ظلت تحت الصدف لا تسلم نفسها إلا لغواص ماهر. وقد أورد ابن فارس هذه المعرفة في باب أجناس الكلام في الاتفاق والافتراق .من ذلك لفظة(اليد) التي تعني المعاني الآتية:

× سُقِط في يـــده : نـــدم
× القوم عليَّ يد واحدة : اجتمعوا على عداوته .
× له يد عـند الناس: جاه وقـــدر.
× هي أطول يدا مـنه: سخـــية.
× يدي رهينـــة بكذا : أنا ضامـــن له .
× أعطاه عن ظهر يد : من غيـــر مكافأة .
× شمر يد القميـص: كمـــه.
× ثوب قصـــير اليد : لا يبلغ أن يلتحف به .
× هم يـــده وعضده : أنصـــاره وأعوانه.
× لا أفعله يـد الدهر : أبـــداً.
× أخذ بـهم يـد البحر: طريقـــه.

أما لفظة (الذَّنَبُ) فتتفـرع إلى المعانـــي الآتيـــة :

× – نظر إليه بِذَنَب عينـه : بمؤخـــرها
× – ضرب فلانٌ بذنبـــه : أقـام وثبـت
× – ركب ذنب الريـــح : أسرع فلم يدرك .
× – ركب ذنب البعـــير : رضي بحظ ناقص.
× – اتبع ذنب أمر مدبـر: تلهف على أمر قد مضى .
× – بينهما ذنب الضـــب: عـــداوة.
× – حديث طويـل الذنـب: لا ينقضـــي .
× – ولته الخمسون ذنبـها : جـــاوزها.
× – هـو ذنـــب لفلان : تـــابع.
× – هو مـن أذناب الناس: أراذلهـــم.
× – ذنـــب الثعلـــب: نـــبتة.
× – ذنـــب الفـــرس : نجـــم.

٧- معرفة ألفاظ تختص بمعان لا يجوز نقلها إلى غيرها:

ويكون ذلك في الحسن و القبح و الشر و الخير و الليل و النهار وهلم جرا. من ذلك قول:» مكانك» هي كلمة استعملت للوعيد، قال تعالى من سورة يونس آية ٢٨ « مكانكم أنتم و شركاؤكم» ومن ذلك لفظة (التتابع) التي استعملها النبي صلى الله عليه وسلم والتي تعني التهافت في الشر.

× أولى له: أي داناه الهلاك، فهي دائما تهديد و وعيد قال زهير بن أبي سلمى:

أولى لكم ثم أولى أن تصيبكم مني نواقرا لا تبقي و لاتذر

× « ومن ذلك:» ظل فلان يفعل كذا» إذا فعله نهارا. و « بات يفعل كذا» إذا فعله ليلا.» الصاحبي- أحمد بن

× فارس، تحقيق أحمد صقر- ص ٤٤٧- دار إحياء الكتب العربية.

× جُعلوا أحاديث: أي مُثِّل بهم، و لا يقال هذا في الخير.

× المساعاة: الزنا بالإماء خاصة.× لفظة قوم٢: للرجال دون النساء لأنهم يقومون في الأمور عند الشدائد

× ألح الجمل، وخلأت الناقة، وحرن الفرس: وهي كلها بمعنى حرن.

× النعت: هو وصف الشيء بما فيه من حسن و تتمة

× ما أطيب قداوة هذا الطعام: أي ريحه، و لا يقال ذلك إلا في الطبيخ و الشواء.

وفي المزهر في علوم اللغة و أنواعها للسيوطي نقرأ في الجزء الثاني عنوان « ذكر الألفاظ التي لا تستعمل إلا في النفي» ص ١٥٩. ط ١٤٠٨ه ١٩٨٧م. اجتزئ منها العبارات الآتية: ما بالدار نافخ نار : أحد- -×- لا أفعله حتى يرد الضب، والضب لا يشرب ماء أبدا.×- مالها صامت ولا ناطق٣.×- ما به شقذ و لا نقذ: أي عيب.×- أمر لا ينادى وليده: أي أمر شديد جليل. فهذه جملة من الألفاظ التي لا يتكلم بها إلا مع الجحد.

٨- معرفة حركات المباني و الإعراب:

هي معرفة لا يبلغ كنهها إسهاب، و لايصفها إطناب، فهي المبتدى، وهي المنتهى، وإليها المفزع في معرفة تغير المعاني، وعليها المعول في تمييز عجائب المعاني التي لا تحصى، ولطائف الدلالات التي لا تستقصى، وكنوز لا تدرك إلا لمن أعرق في البحث بأفانين العربية وغاص في يمها الذي لا ينكش حتى يأتي بالمقل. فالإعراب في العربية يثبت أن الحركة الإعرابية تفيد المعنى، و القواعد أساسية في إنشاء الكلام وفي تحديد وظائف الكلمات حتى قيل: الإعراب فرع للمعنى. ولقد ضربت العربية بسهم أهزع في التعبير عن المعاني المختلفة بواسطة الاختلاف في حركات المباني و الإعراب، هذه بعض الإلماحات أسوقها في هذا الباب من دون تنقير و اعتيام. قال أبو عبدا لله محمد بن مهدي الجراري شارحا مثلث قطرب:

إن دموعي غَمْـرٌ وليس عنـــدي غِمْـــر

يا أيهاذا الغُمْـــر أقصـــر عـن التعتـــــب

وقد شرح العلامة أبو محمد عبد الواحد بن عبد العزيز المكناسي (الغمر قائلا:)

فالغَمْر: ماء غـزرا و الغِمْـر: حقـد ستـــرا

و الغُمْر: ذوجهل سرى فيـه ولـم يجـــرب

وقال محمد بن مهدي الجراري:

بـدا و حيا بالسَّلام رمـى عـدوي بالسِّـــلام

أشار نحـوي بالسُّلام بكفـــــه المختضـــب

وقال المكناسي شارحا :

تحية المـرء: السَّلام واسـم الحجـــارة السَّـلام
والعرق في الكف: السُّلام رووه فـــي لفـــظ النبـي

أما بالنسبة إلى حركات الإعراب فإن المناظرة التي دارت بين أبي يوسف صاحب أبي حنيفة، وبين الكسائي في حضرة هارون الرشيد، من أبلغ الأدلة على الخدِّمات الجليلة التي يقدمها الإعراب في التمييز بين المعاني، إذ أورد الكسائي المسألة الآتية على أبي يوسف طالبا منه أن يجد لها حلا مناسبا قائلا: ما رأيك يا أبا يوسف في رجلين قال أحدهما:»أنا قاتلُ غلامك» بإضافة قاتل إلى الغلام، وقال لك الآخر: « أنا قاتلٌ غلامَك» بتنوين قاتل ونصب الغلام به. أيهما كنت تقتص منه؟ فقال أبو يوسف: كلاهما، فقال له الكسائي: أخطأت! القاتل هو الأول. أما الثاني فإنه يتوعد ولم يقتل بعد. نقول: كم رجلا رأيت؟ في الاستخبار. وكم رجل رأيت؟ في الخبر يراد به التكثير. ونقول: جاء الشتاء والحطب لإرادة الحاجة إلى الحطب أما إذا أردنا المجيء فيجب الرفع (مِفْتح:للآلـة مَفْتح: لموضع الفتح).

٩- معرفة أصول الكلمات:

اللغة- بصفة خاصة- ليست مجرد شفاه تتمتم، و لا أصوات تسمع، إنما هي روح تصنع وتعبر عن الأفكار والمشاعر، وهي إذ تصنع وتعبر عن ذلك فإنها ليست مجرد كلمات حيادية، بل هي كلمات وراءها ماض عريق في الحضارة والفكر، وهي لا تستعمل إلا مع الوحي الذي توحي به لكل الذين استعملوها منذ كانت كلمة، وبكل ما شحنوها به من دلالات،... ومع العبقرية التي عاشت فيها، فهي التي تكون عقليتنا، وهي التي توجد مفاهيمنا، وهي التي تلون تصوراتنا و سلوكاتنا، وهي التي تحافظ على وحدتنا، ولذلك تجد الكلمة الواحدة تتقلب على ضروب من التقاليب، وهي مع ذلك ترجع إلى معنى واحد، هو الذي أمدها بماء الحياة، لذلك يحسن بالأستاذين أن يتعرفوا على تاريخ الكلمات و تأثيلها و التقلبات التي عرفتها حتى انتهت إلينا بدلالتها الراهنة. وهاكم بعض الكلمات اغترفها نغبة من يم العربية أضيء لها ما أغطش من مجدها المؤثل.

× السفير: ما سقط من ورق الشجر، وقد قيل له السفير لأن الريح تسفره أي تكنسه، أو تذهب به كل مذهب»حاشية الصاحبي في فقه اللغة ص ١١٦. لهذا سمي السفير الذي ترسله دولة إلى أخرى سفيرا، لأنه كثير التنقل و السفر بين الدولتين.

× القرية: مأخوذة من القري وهو الجمع. ومنه قولهم: قريت الماء في الحوض: إذا جمعته فيه. ومنه سميت القرية قرية إذا كانت عامرة بالسكنى.

× المبرِّز: ورد في باب (السوابق من الخيل) من كتاب « مبادئ اللغة « فإذا سبق وباين ما خلفه فهو: المبرِّز.ص ٢٠٦. وقال ابن منظور: برز الفرس على الخيل: سبقها- وقيل كل شيء سابق مبرز. و برزه فرسه: نجاه.

× البليـة: الناقة التي يموت صاحبها، فتبقى على قبره لا تسقى ولا تطعم حتى تموت. وقد استعملت مجازا في كل أمر يحزب الإنسان.

× الإمعة: الرجل الذي يتبع الناس إلى موائد الطعام من غير أن يدعى. ويروون عن عبد الله بن مسعود قوله: كنا في الجاهلية نعد الإمعة الذي يتبع الناس إلى موائد الطعام من غير أن يدعى، وأن الإمعة فيكم اليوم المحقب الناس دينه، أي الذي يضع دينه في حقيبة غيره، فغيره هو الذي يوجهه في أمور دينه وتقلبات رأيه. أما الإمعة اليوم فهو الرجل الضعيف الرأي المتهافت الذي يقول لكل واحد: أنا معك.

× اللغـز:هو الطريق المنحرف. وقد سمي بهذا المعنى لانحرافه عن نمط الكلام.

× الخرافة: نسبة إلى خرافة: وهو رجل من عذرة استهوته الجن، فكان يحدث بما رأى، فكذب وقيل: حديث خرافة، فأجريت اللفظة على كل ما يكذبه الناس من الأحاديث، وعلى كل ما يستملح و يتعجب منه.

× القرم: هو الفحل من الإبل، وقد انتقلت دلالته لتدل على السيد الكريم.

١٠- معرفة حسن الأخذ و الاستمداد (التناص):

حسن الأخذ عمل فني لا غنى للأديب عنه، ولا سيما بالنسبة إلى المعاني المشتركة. فالمعاني شيء يتداوله الأدباء، لا غنى للاحقين عن تناولها ممن تقدمهم بشرط أن يكسوها ألفاظا من عندهم، ويبرزوها في معارض من تأليفهم، ويوردوها في غير حليتها الأولى، ويزيدوها في حسن تأليفها، وجودة تركيبها، وكمال حليتها ومعرضها، فإذا فعلوا ذلك فهم أحق بها ممن سبق إليها.

والحق أن تاريخ الكتابة يشهد أن « الأعمال الأدبية المتميزة تكاد تكون أعمالا مقتطعة من أعمال سابقة، غير أن هذا الاقتطاف و الاستمداد ينزعان ، من خلال اعتماد تقنية الإخفاء وحسن السبك في أجود القوالب الذي تتنزل فيه الألفاظ و التعابير منزلتها التي تقتضيها، إلى خلق قيم جديدة لها تأثيرها الفاعل في دلالة النص المستفيد٤» حسن الأخذ والتناص- عبد الله ايت الاعشير- مجلة عالم الفكر الكويتية عدد ٣١- يناير مارس ٢٠٠٣- ص ٢٢٧.

وبما أن أي نص ينقل أصداء نصوص أخرى و يتحاور معها، فإنه من النصف الإشارة في أثناء تحليل النصوص إلى مواطن المحاورة بين النص المدروس والنصوص السابقة التي تقع في مجاله ويغترف من يمها.

وعلى العموم فإن حسن الأخذ يتجلى في أماكن معينة من جسد النص هي:

- في الاستهلال
- في الخواتم
- في الاقتباس و التضمين لآي القران الكريم و الحديث النبوي الشريف.

ولعل البارودي قد نظر إلى قصيدة سلمة بن الخرشب الأنماري(الخرشب لقب له وهو تقطيب الوجه) التي يقول في مطلعها٥:

تأوبه خيال من سليمى كما يعتاد ذا الدين الغريم

وقد نظر- بلا ريب- إلى قول صالح بن عبد القدوس، المعروف بزندقته وكثرة حكمته وحسن بيانه، حيث قال :

تأوبني هم فبت أخاطبه وبت أراعي النجم، ثم أراقبه

كما نظر إلى قول حسان بن ثابت في مطلع قصيدته:

تأوبني ليل بيثرب٦ أعسر وهم إذا مانوم الناس مسهر

لذكرى حبيب هيجت ثم عبرة سفوحا و أسباب البكاء التذكر

ديوان حسان بن ثابت- ضبط و تصحيح- عبد الرحمان البرقوقي

ص ٢٣٢ – دار الكتاب العربي- بيروت: ١٤١٠ ه ١٩٩٠ م

كما نظر في بيته الرابع إلى بيت أبي فراس الحمداني الذي يقول :

فيا بعد ما بين الكلال و بينها ويا قرب ما يرجو عليها المسافر

ديوان أبي فراس الحمداني- شرح و تقديم عباس عبد الساتر- ص ٨٣

ط ٣- ١٤١٣ه ١٩٩٣م - دار الكتب العلمية – بيـــــروت.

وهذا المشجر يبين أشكال التناص كما نظر إليها النقاد العرب القدامى:

١١- الدلالة و أنواعها:

١- دلالة المنطوق: وهي الدلالة الحرفية التي تستفاد من منطوق الكلام من دون تأويل. إنها استقلال الكلام بإفادة المعنى الحقيقي مثل قولنا: تلوت قصيدة البارودي بجهر.

٢- دلالة المفهوم: وهي الدلالة التي تحمل على مرجوح الأدلة المستفادة من القرائن لأن قوله تعالـى (واخفض لهما جناح

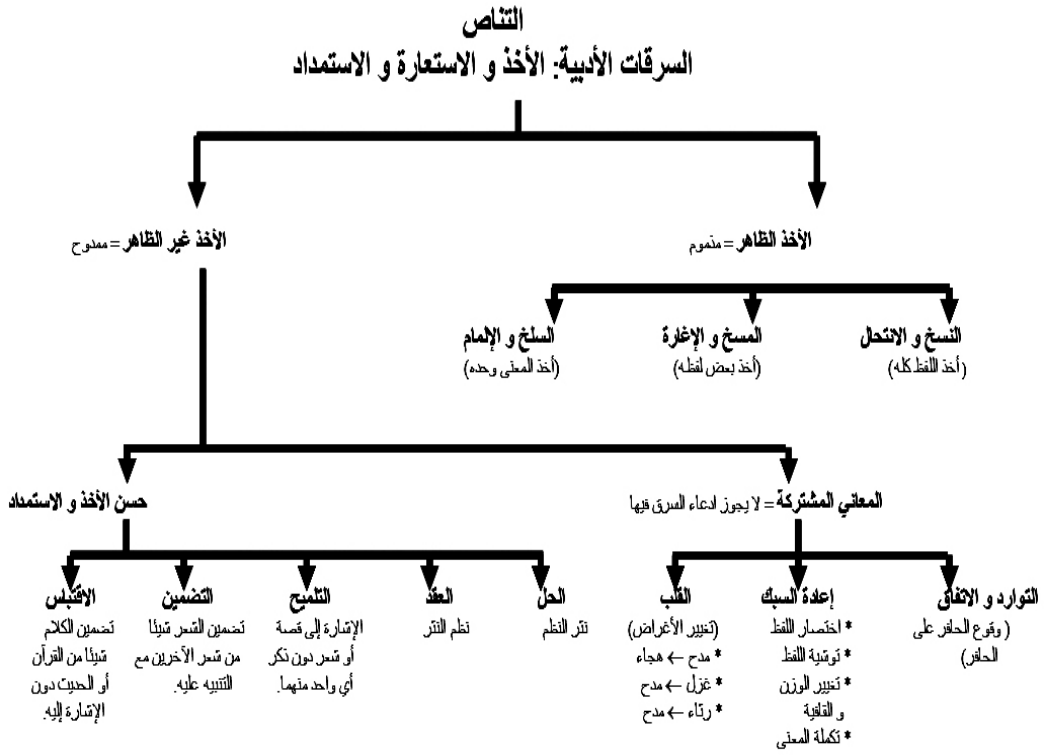

الذل من الرحمة» سورة الإسراء آية ٢٤. يستحيل حمله على الظاهر المنطوق، لاستحالة أن يكون للإنسان أجنحة، فيؤول بالخضوع وحسن الخلق وكسر الجانب.

٣- دلالة الاقتضاء: عندما تتوقف صحة دلالة اللفظ على الإضمار تسمى دلالة الاقتضاء مثل قوله تعالى من سورة يوسف آية ٨٢ « واسأل القرية» أي أهل القرية.

٤- دلالة الإشارة: عندما يدل اللفظ على ما لم يقصد به تسمى الدلالة عندئذ: دلالة إشارة مثل قوله تعالى:» ولا تقل لهما أف» سورة الإسراء أية ٢٣- التي تفهم منها دلالة تحريم الضرب لأنه أشد من التأفف.

من أجل هذا تقول العرب إن النصوص بمنزلة وعاء مملوء لبنا كلما مخضته استخرجت زبدته، فكل قراءة جديدة تضيف معنى لم تنتبه إليه القراءة الآنفة. وعلى العموم فإن فكرة المقام هي التي يدور حولها علم الدلالة، إذ أن إظهار المعنى على المستوى الوظيفي(الصوتي و الصرفي والنحوي)، وعلى المستوى المعجمي لا يعطينا إلا معنى المقال

الذي هو معنى حرفي، وهو معنى فارغ من المحتوى الاجتماعي والتاريخي، منعزل عن القرائن التي تحدد المعنى على هذه الشاكلة:

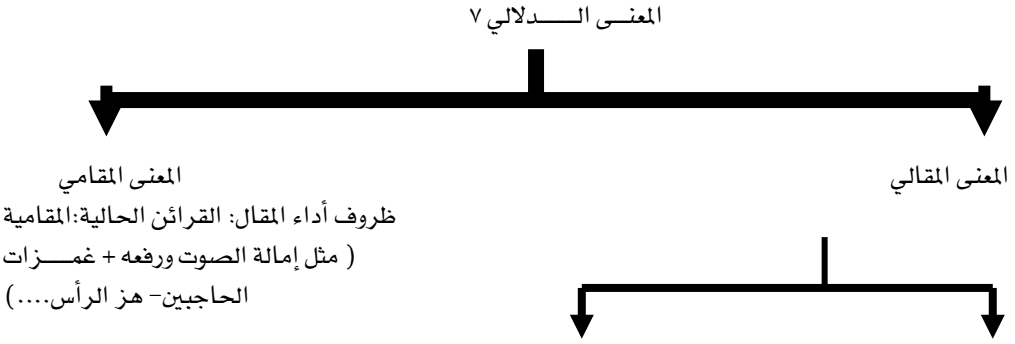

من خلال هذا المشجر يتضح أن الوصول إلى المعنى في صورته المرادة يستوجب الاعتماد على العناصر الوظيفية(أصوات+ صيغ+نحو) ناهيك عن المعنى المعجمي، بله ظروف المقام الذي يعد بمثابة الهادي إلى انتقاء المعنى الأنسب الذي يقتضيه الموضع الذي تتنزل فيه العبارة من النص. إنه نوع من الحمل على المعنى الأكثر موافقة للقرائن الحالية، والمقامية، والاجتماعية. حيث ترجح دلالة على أخرى من خلال إزاحة الاحتمالات غير المرادة لصالح احتمال واحد ووحيد قوته و دعمته القرائن الآنفة، حيث إن المقام أو السياق هو العنصر الكفيل بتوطين اللفظة المعجمية، وتخصيصها بدلالة محددة من خلال ما يأتي:

× السياق النصي المباشر.
× السياق المقامـــــي.
× السياق الكلـــــــي.
× سيـاق المقصديـــة.

وإليكم هذا المشجر الذي يوضح قرائن التعليق.٨

١٢- معرفة المجاز:

التشبيه: وهو أكثر كلام العرب ، ويقصد به الدلالة على مشاركة أمر لأمر آخر في معنى يخرجه من الأغمض إلى الأظهر. أما الغرض منه فهو تأنيس النفس بإدناء البعيد من القريب رغبة في الكشف عن المعنى مع الاختصار. والتشبيه يعتمد على

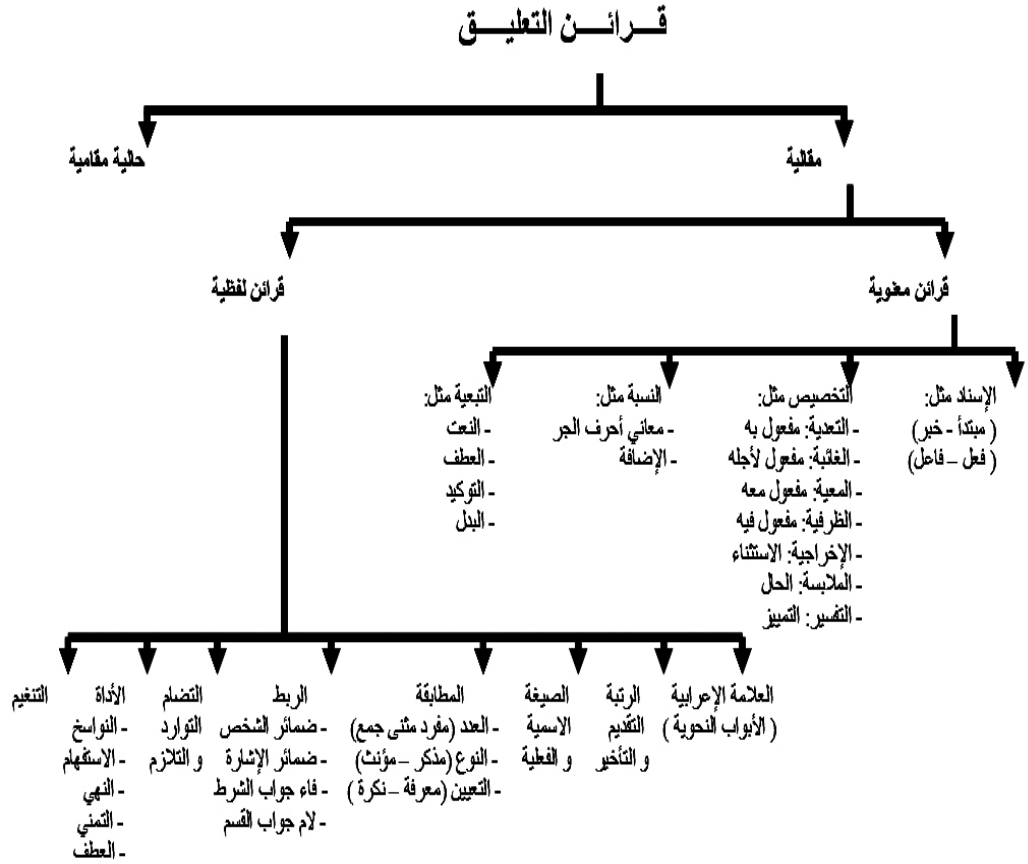

أدوات تشملها الأحرف والأسماء والأفعال ، كما أنه ينقسم أقساما بحسب الأداة أو وجه الشبه...

الاستعارة : وهي أن تستعار الكلمة من شيء معروف بها إلى شيء لم يعرف بها ، لأجل إظهار الخفي، وإيضاح الظاهر ، وحصول المبالغة . وتعد الاستعارة –بالإجماع- من أعلى مراتب البلاغة والفصاحة . فهي أبلغ من التشبيه ، ومن الكناية . وأبلغ أنواع الاستعارة التمثيلية ، ثم تليها المكنية.

الكناية : وهي لفظ أريد به لازم معناه للأسباب الآتية :

- التنبيه على الأمر العظيم مثل قوله تعالى من سورة الأعراف آية ١٨٩ : « هو الذي خلقكم من نفس واحدة « كناية عن آدم.
- ترك اللفظ إلى ما هو أجمل، حيث كنى الله في سورة ص آية ٢٢ عن المرأة بالنعجة (له تسع وتسعون نعجة...)
- التصريح مما يستقبح ذكره، ولذلك كنى الله عن قضاء الحاجة بأكل الطعام ، و الجماع بالملامسة والرفث والإفضاء والمباشرة والسر...

وعلى العموم فإن الكناية يراد بها الإيضاح وبيان الحال من خلال المدح أو الذم ، كما يراد بها التعمية والإلغاز أو التعبير عن المعنى القبيح باللفظ الحسن...

المجاز المرسل : وهو الذي ينسج علاقات يرتبط فيها المعنى الحقيقي بالمعنى المجازي من خلال مراعاة : السببية (رعينا الغيث)

و المسببية (أنزلت السماء رزقا) و الجزئية (أرسل العقيد أعينا لمراقبة الحدود) والكلية (جعلوا أصابعهم في آذانهم) واعتبار ما كان (ها أنت تشرب التين) واعتبارا ما سيكون (أراني أعصر خمرا) والمحلية (اسأل القرية) والحالية (أدخلني في رحمتك) والآلية (جود الرجال من الأيدي) ثم المجاورة (ضربه ضربة مزق بالخنجر ثيابه).

وبنظرة الطائر يمكن القول إن العبارة المجازية تقوم على التصوير الفني لمعنى عقلي أو عاطفي من خلال المشابهة أو المجاورة أو التجسيد أو التجريد والإيهام ، وهي إما صور مفردة أو مركبة لأجل إحداث تأثيرات انفعالية لدى القارئ من خلال الحرص على :

- تأكيد المعنى والمبالغة فيه.
- الإمتاع والتهييج : من خلال السعي إلى إيجاد البهجة والحبور والاستمتاع بالجمال ..
- الغرابة : من خلال التأليف بين العناصر المتنافرة.
- الإقناع : بواسطة الأدوات الحجاجية المؤثرة.

ويقدم المشجر الآتي توضيحا للعلاقة المجازية : البيانية

١٣- معرفة الإيجاز والإطناب:

الإيجاز هو أداء المعنى بأقل عبارة، والإطناب أداؤه بأكثر منها بسطا وزيادة. والإيجاز قسمان : إيجاز قصر، وإيجاز حذف.

١- إيجاز القصر : هو تكثير المعنى بتقليل اللفظ مثل قول البارودي :

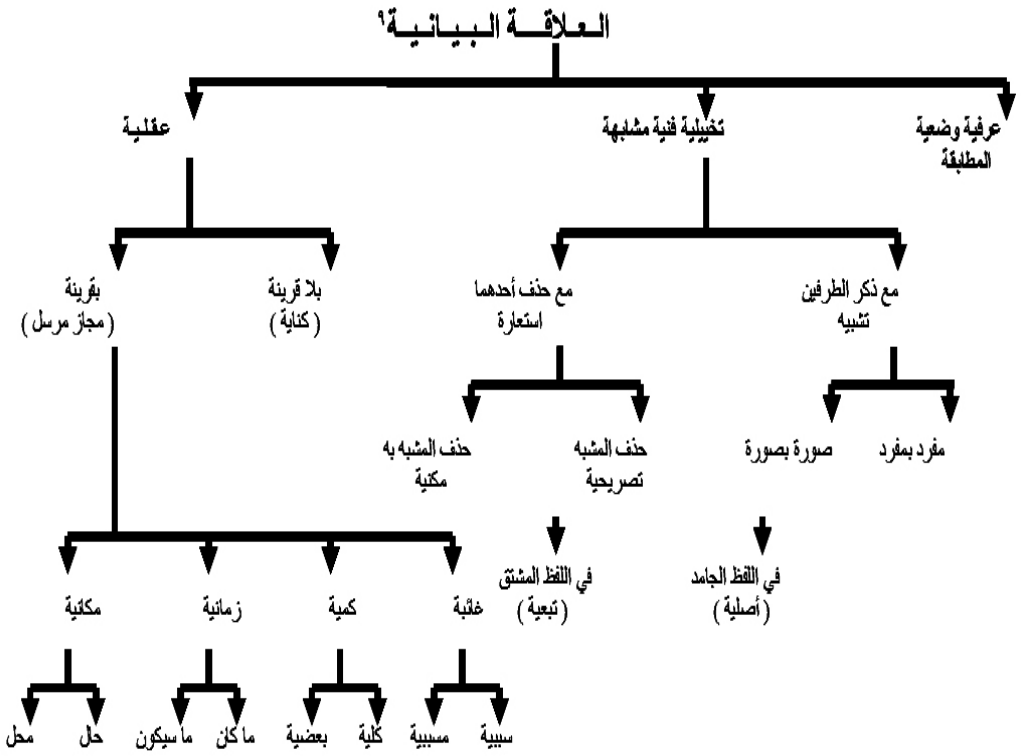

صبرت على كره لما قد أصابني ومن لم يجد مندوحة فهو صابر

هذا الصبر جامع لما يصبر عليه المرء من كل ما يحل به من ألوان العذاب والإبعاد والذل...

ومثل قوله تعالى (خذ العفو) لأن في أخذ العفو: التسامح والتساهل واللين والرفق. وهذا النوع من الإيجاز يعرف من خلال :

- أدوات العطف : لأن أحرف العطف جعلت للاستغناء عن إعادة العامل.
- الضمائر : لأن الضمير وضع للاستغناء عن الظاهر
- التثنية والجمع : لأنها تغني عن تكرير المفرد ، الذي يقوم الحرف فيهما مقامه اختصارا.

٢- إيجاز الحذف : قال ابن جني : الحذف شجاعة اللغة العربية ، لأنه يشجع على الكلام . وللحذف دواع منها:

× الرغبة في الاختصار.

× التنبيه على أن الزمان يتقاصر عن الإتيان بالمحذوف. وهذه هي الفائدة من بابي : التحذير والإغراء حيث ينصب المفعول بفعل محذوف تقديره احذر أو الزم. مثل قوله تعالى من سورة الشمس آية ١٣ « ناقة الله وسقياها» أي ذروا ناقة الله والزموا سقياها.

× التفخيم والتعظيم ، حيث يستفاد التهويل والإعجاب مثل قول البارودي

فيا بعد ما بيني وبين أحبتي ويا قرب ما التفت عليه الضمائر

حيث جعل الحذف دليلا على ضيق الكلام عن وصف مسافة البعد، وترك العقل يقدر ما شاء من معاناة الشاعر تجاه هذا البعد.

× التخفيف لكثرة الاستعمال ، كما هو الأمر في حذف (ياء) النداء نحو:» يوسف أيها الصديق.»

× مراعاة التوازي حفاظا على فواصل الكلام مثل قوله تعالى: « ما ودعك ربك وما قلى» أي وما قلاك لكي تنسجم قلى مع سجى .

١٤- معرفة أنـواع الـحـذف :

أ)- الحذف بالاقتطاع : وهو حذف بعض أحرف الكلمة الواحدة مثل إيراد بعض الشعراء لفظة الثعالب هكذا الثعال. ويعد الترخيم صورة من صور الحذف بالاقتطاع.(أفاطم).

ب)- الحذف بالاكتفاء: وهو أن يؤتى بشيئين بينهما تلازم وارتباط ، فيكتفي بأحدهما عن الآخر ، مثل قوله تعالى من سورة النحل آية ٨١: « سرابيل تقيكم الحر» وقد اختص الحر هنا دون البرد ، لأن البيئة العربية بيئة حارة، ولذلك لا بد من الوقاية من الحر دون البرد . ومنه قول من قال : يا إلـه المشرق تجاوز عني ...» مكتفيا بذكر المشرق دون المغرب إيمانا منه أن السامع يعي ويذكر المراد.

ت)- الحذف بالاحتباك : من الحبك أي الشد والإحكام وتحسين الصنعة التي تمنع عن الشيء المحبوك الخلل والفرجات. مثل قله تعالى : « وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء» النمل آية ١٢. والتقدير: أدخل يدك في جيبك تدخل غير بيضاء، وأخرجها تخرج بيضاء.

ث)- الحذف بالاختزال : حيث يكون المحذوف ، إما اسما أو فعلا أو أكثر من ذلك مثل حذف المضاف في قوله تعالى :»الحج أشهر معلومات» البقرة ١٩٧. أي حج أشهر معلومات . أو قول القائل : أحسن الصدقات في الرقاب» أي : في تحرير الرقاب. وقد يحذف المضاف إليه أو المبتدأ الذي يكثر في جواب الاستفهام مثل قوله تعالى من القارعة (وماأدراك ما هيه نار حامية) أي هي نار حامية.وقوله تعالى في بداية سورة النور «أنزلناها» أي هذه سورة. وقد يحذف الجار والمجرور مثل قول البارودي :

صبرت على كره لما قد أصابني ومن لم يجد مندوحة فهو صابر

والتقدير: ومن لم يجد للصبر مندوحة فهو صابر . وقد يحذف الموصوف مثل قوله تعالى : «أن اعمل سابغات» سبأ آية ١١ أي دروعا سابغات. وقد تحذف الصفة مثل قول البارودي :

فلا تحسبن المال ينفع ربه إذا هو لم تحمد قراه العشائر

والتقدير المال الكثير بدليل إشارته إلى كثرته في قوله فقد يستجم المال. ومثل قوله تعالى من سورة الكهف آية ٧٩ :»يأخذ كل سفينة غصبا» أي صالحة . وقد يحذف الفاعل مثل قوله تعالى من سورة القيامة آية ٢٦ :»إذا بلغت التراقي» أي الروح . وقول القائل : توارت بالحجاب : أي الشمس

الإطناب: الإطناب بلاغة يتراءى كمن يسلك سبيلا منعرجة تحتوي على زيادة فائدة ، بما يريح النفس. إنه نوع من إطالة الكلام وترديده لتقوية المعنى في النفس وتعظيمه ، كأن المخاطب لا يدرك الكلام الموجز ، فيحتاج إلى البسط والاتساع حتى يستقيم له الفهم والإدراك. ويكون الإطناب بدخول أحرف التأكيد مثل : إن – أن – لام الابتداء – القسم – ألا الاستفتاحية – أما – هاء التنبيه – كأن – لكن في تأكيد الاستدراك، وليت في تأكيد التمني ، وضمير الشأن ، وضمير الفصل ، وقد والسين وسوف ونونا التوكيد ، ولما في تأكيد النفي . كما يكون الإطناب بدخول أحرف الزيادة التي يجمعها قولنا « هويت السمان» ،و «التناهي سمو»،و «تهاوني أسلم»، أو قول (اليوم تنساه) المنفرة لما فيها من نسيان أو القول المشهور (سألتمونيها) وقد يكون الإطناب بالتأكيد مثل :

التوكيد المعنوي: الذي يكون بألفاظ : كل – أجمع – كلا – كلتا ، أو بالتأكيد اللفظي الذي يكون تارة بالمرادف مثل قولنا : «هذا غربيب أسود» «أشكو بثي وحزني» «لا أرى عوجا ولا أمتا». أو قول الحطيئة الآنف :

ألا حبذا وأرض بها هند وهند أتى من دونها النأي والبعد

وتارة أخرى يكون بإعادة اللفظ نفسه وهي إعادة تشمل الاسم (دكا دكا) واسم الفعل (هيهات هيهات) والجملة (فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا) أو تأكيد الفعل بالمصدر مثل «كلم تكليما» « نام نوما ثقيلا».

وعلى العموم فإن أصحاب البيان يؤكدون أن التوضيح بعد الإبهام نوع من الإطناب ، ولذلك فإن الشطر الثاني لمطلع قصيدة البارودي :

تأوبني طيف من سميرة زائر و ما الطيف إلا ما تريه الخواطر

يعد بمثابة إطناب يفسر معنى الطيف، ويمكن المعنى في النفس تمكينا زائدا ، ويكمل لذة المعرفة ، ناهيك عن لذة الاستلذاذ بذكره (وما الطيف) حيث لم يقل (وما هو) .و إذا لاحظت الشطر الأول من البيت الثاني :

تمثلها الذكـــــــرى لعيني...

فإنك تلاحظ أن بقية الكلام يعد نوعا من الإيغال لأن المعنى يتم من دونه لكن فيه زيادة توضيح في الرؤية والإبصار.

ويعد الاعتراض باعتباره نوعا من الإتيان بما لا يترقب الإتيان به إطنابا مثل الحسنة تأتيك من حيث لا تحتسب. أنظر إلى قول البارودي في البيت السادس كيف أضاف الجار والمجرور باعتباره جملة اعتراضية (على كره) زيادة فائدة وتأكيدا لحالة الشاعر في أثناء الصبر.

١٥- معرفة التكـرار:

وهو يعد بلا ريب من محاسن البلاغة إنه سمة جوهرية في بناء النصوص شعرية كانت أو نثرية. وحقيقته أن يأتي المفن بلفظ ثم يعيده بذاته سواء كان اللفظ متفق المعنى أو مختلفا. وقد أشب لي ملاحظة أصناف التكرارات الآتية في الشعر العربي:

١- تكرار لازمة بنائية : بحيث تمثل تلك اللازمة بؤرة النص ، فهي المبتدأ وهي المنتهى . وقد تجدر هذا المسلك الأسلوبي في القصيدة العربية القديمة مثل قصيدة الحارث بن عباد الذي قتل المهلهل ابنه بجيرا فأطلق قولته المشهورة « لا بد مما ليس

منه بد « في قصيدته التي كرر فيها لازمة (قربا مربط النعامة مني) معبرا على إصراره على القتال ، وما قصيدة أبي ذؤيب الهذلي منا ببعيد حيث رثى فيها أبناءه الذين تخرمهم الموت مكررا لازمة (والدهر لا يبقي على حدثانه) ويسمى هذا النوع (الترديد) لأن المكرر متعلق بغير ما تعلق به الأول ، مثل تكرارات سورة (الرحمان) .

٢- التكرار النسقي أو تكرار التشاكلات الصوتية : و هو الذي يمنح النص غنائيته وتماسكه ، فكأن المغنين ينشدون الطرب بواسطته ، وتذوق مشاعرهم في نميره سلافة الطرب والغناء على هذه الشاكلة في قصيدة مالك بن الريب الذي يرثي نفسه :

و قد كنت عطافا إذا الخيل أدبرت سريعا لدى الهيجا إلى مَن دعانيا
وقد كنت صبارا على القرن في الوغى وعن شتميَ ابن العم و الجار وانيا
فطورا تراني في ظلال ونعة وطورا تراني والعتاق ركابيا

٣- تكرار بعض الأدوات والكلمات : وهو لغرض التأكيد وزيادة التنبيه وقد قيل : الكلام إذا تكرر تقرر، ولا أقول هنا تكرج مثل قول عبد يغوث بن وقاص مكررا لفظة اللوم في مطلع قصيدته :

ألا لا تلوماني كفى اللوم ما بيا فما لكما في اللوم خير ولا ليا

وكذلك فعل مالك بن الريب في مطلع القصيدة عندما ما كرر لفظة الغضى في الأبيات الثلاثة الأولى. والتكرار عموما يراد به التأكيد مع زيادة التنبيه على ما ينفي الشيء المكرر، كما هو في نفي عبد يغوث اللوم عنه. وقد يؤتي بالتكرار إذا طال الكلام فخيف أن ينسى الأول ، فيكرر تجديدا لعهده كما في قوله تعالى على لسان يوسف عليه السلام « إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين».

وقد يأتي التكرار للتعظيم والتهويل ، مثل ذكر مشاهد جهنم في القرآن، ومشاهد القيامة (القارعة ما القارعة وما أدراك ما القارعة) أو عرض وقع الخيل في أثناء الحروب وهلم جرا.

ولا بد أن أذكر هنا أنه إذا اجتمعت (إن واللام) في جملة كان ذلك بمنزلة تكرار الجملة ثلاث مرات، لأن (إن) تفيد التكرار مرتين، وإذا أضيفت لها (اللام) صار التكرار ثلاث مرات. وكذلك الشأن بالنسبة إلى نون التأكيد الشديدة ، فهي بمنزلة تكرير الفعل ثلاث مرات ، والنون الخفيفة بمثابة تكريره مرتين.

ومن التكرار التوكيد اللفظي ، وهو تكرار اللفظ الأول بما يشبه المرادف مثل قولنا (هذا الغربيب الأسود) (صدر فلان ضيق حرج) ومثله قوله تعالى من سورة الحديد « قيل أرجعوا وراءكم فالتمسوا نورا» إذ إن (وراء) هنا بمعنى اسم فعل أي (ارجعوا).

أما تكرار اللفظ بذاته فيكون في الاسم والفعل والجملة والحرف . فالاسم مثل قوله تعالى « قواريرا قواريرا « والفعل مثل قوله تعالى « فمهل الكافرين أمهلهم رويدا» واسم الفعل مثل قوله تعالى « هيهات هيهات لما توعدون» والحرف مثل قوله تعالى : « ففي الجنة خالدين فيها» أما التكرار في الجملة فيحسن اقتران الجملة بحرف العطف (ثم) مثل قوله تعالى : « كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون .»

١٦- معرفة الصفة :

يوردها الأدباء النحارير لأغراض مقالية ومقامية نجملها في الآتي :

- أولا: تخصيص النكرة : مثل قوله تعالى : « فتحرير رقبة مومنة»
- ثانيا: توضيح المعرفة لأجل زيادة البيان مثل قولنا : «هذا الشاعر الفصيح اللسن « أو قول : «هذا البلبل الصداح.»
- ثالثا: المدح والثناء أو الذم والتوبيخ : مثل قولنا : الخطيب المصقع المفوه) أو قولنا : « الشويعر البغاثة»
- رابعا: التأكيد لرفع الإيهام : مثل قوله تعالى من سورة الفتح : «يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم « حيث رفع سبحانه الإيهام لأن القول يطلق مجازا على غير اللسان بدليل قول القائل في الخطاب المباشر : (قال في نفسه) وقولنا «طار الطائر بجناحيه»

لتأكيد أن المراد بالطائر حقيقته وليس غيره.

ويجب التنبيه هنا أن الصفة العامة لا تأتي أبدا بعد الخاصة، إذ لا ينبغي أن يقال : (رجل فصيح متكلم) بل: (رجل متكلم فصيح).

وإذا تكررت النعوت لواحد اتصف بها فالأحسن العطف ولا سيما إذا تباعدت الصفات : مثل (هو الأول والآخر والظاهر والباطن) ويمكن ترك العطف إذا تقاربت الصفات مثل قولنا : أديب بليغ ، نحرير، حذاقي، لوذعي. وقد ورد مثل ذلك في سورة القلم في قوله تعالى : «ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم».

١٧- معرفة موضوعات البديع :

هو تحسين يطول الألفاظ رغبة في أن يلائم بعضها بعضا. ومنه المبدأ المعروف في عمود الشعر ائتلاف الألفاظ مع المعاني توخيا لحسن الجوار ، ورغبة في المناسبة في النظم ، ولذلك فإن أجزل الألفاظ وأقواها تنسجم مع المواقف الصعبة الحرجة (وهم يصطرخون فيها...) بينما أعذب الألفاظ وأرقها تأتي في معرض الغزل والتنعم ، تسيل رقة كما تتحدر الأمواه الصافية من دون أن تحدث قسيبا.

الالتفات : وهو نقل الكلام من أسلوب إلى آخر بواسطة اختلاف الضمائر لأجل تطرية الكلام، وحب التنقلات، والرغبة في صيانة السمع من الضجر والملال نتيجة الاستمرار على منوال واحد . انظر إلى جودة الالتفات في قول البارودي في الأبيات (٧و٨و٩ ثم ١٠) بحيث انتقل من ضمير المتكلم إلى ضمير الغائب، بحيث أخرج الكلام في معرض مناصحته لقومه ، وهو يريد نصح نفسه، تلطفا وإعلاما أنه يريد لنفسه ما يريد للآخرين، حيث التفت إلى هذا المرء في مقام دعوته إلى الإيمان والصبر والسعي إلى العلا . ومن الالتفات في القرآن من سورة يونس آية ٢٢ (حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم)

التجنيس : وهو أنواع عديدة منها الجناس التام وهو معروف، ومنها الجناس المصحف، وسمي جناس الخط (يسقيني : يشفيني) ومنها المحرف الذي يقوم على الاختلاف في الحركات (منذرين : منذرين) . ومنها الناقص الذي ينهض على الاختلاف في عدد الأحرف مثل (كلا من كل شيء) ومنها جناس القلب ينهض على الاختلاف في ترتيب الأحرف (بين بني فلان أحقاد)

ملحوظة : وبما أن مراعاة المعاني أولى من مراعاة الألفاظ، فإن الجناس يترك ولا يلتجأ إليه في أثناء قوة المعنى.

المبالغة : وهي الزيادة في المعنى المقصود ، وهي نوعان

- مبالغة بالوصف الذي يصل إلى حد الاستحالة مثل قول البارودي :

ملكت عقاب الملك وهي كسيرة وغادرتها في وكرها وهي طائر

- مبالغة الصيغة وهي التي تنهض على إحدى صيغ المبالغة (فعول ، فعلان – فعال –فعل – فعيل – فعال – فعلى....)

وقبل أن أمسح اليراع من هذا الباب أعرض في نظرة الطائر لموضوعاته هكذا : اللف والنشر والمطابقة والمقابلة والإبداع وهو نوع يشتهر بعدة ضروب من البديع، وحسن النسق، والتنكيت، والإبدال، والاقتدار والافتنان والتورية...

١٨- معرفة إيقاعات بحور الشعر العربي :

إن الذي يتتبع إيقاعات بحور الشعر العربي يستطيع التمييز بين نوعين من الأبحر الشعرية هما : الأبحر الصافية المكونة من تفعيلة واحدة تتكرر حسب إيقاع كل بحر. وأبحر ممزوجة مكونة من أكثر من تفعيلة. يقول القرطاجني: «من تتبع كلام الشعراء في جميع الأعاريض، وجد الكلام الواقع فيها، تختلف أنماطه بحسب اختلاف مجاريها من الأوزان، ووجد الافتنان في بعضها أعم من بعض. فأعلاها درجة في ذلك الطويل والبسيط، ويتلوها الوافر والكامل.

ومجال الشاعر في الكامل أفسح منه في غيره. ويتلو الوافر والكامل عند بعض الناس الخفيف. فأما المديد والرمل ففيهما لين وضعف، وقلما وقع كلام فيهما قوي... فأما المنسرح ففي اطراد الكلام عليه بعض اضطراب وتقلقل، وإن كان الكلام فيه جزلا. فأما السريع والرجز ففيهما كزازة. فأما المتقارب فالكلام فيه حسن الاطراد ، إلا أنه من الأعاريض الساذجة المتكررة الأجزاء...» منهاج البلغاء وسراج الأدباء. أبو الحسن حازم القرطاجني. تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة. ص٢٨٦ –ط٣ – ١٩٨٦م دار الغرب الإسلامي. بيروت. ومن هنا يتبدى أن للأعاريض اعتبارا من حيث ما يناسبها من الأغراض الشعرية. فالأعاريض الفخمة مثل الطويل و الكامل والبسيط تصلح لأغراض الجد والفخر والحماسة التي تطبعها الجزالة والمتانة. بينما تصلح الأعاريض الخفيفة مثل : الخفيف والمتقارب والرمل والمديد لأغراض اللهو والغزل التي تطبعها الرقة والنعومة والسهولة والخفة والانسياب. من أجل هذا عد بحر الخفيف من أخف الأبحر الشعرية على الطبع ، وأطلاها للسمع ، وأكثر سهولة وانسجاما ، كما هو الشأن بالنسبة إلى المتقارب.

وعلى الجملة فإن أوزان الشعر العربي «منها سبط ، ومنها جعد ، ومنها لين ، ومنها شديد ، ومنها متوسطات بين السباطة والجعودة ، وبين الشدة واللين ، وهي أحسنها . والسبطات هي التي تتوالى فيها ثلاثة متحركا، والجعدة هي التي تتوالى فيها أربعة سواكن ...والمعتدلة هي التي تتلاقى فيها ثلاثة سواكن... والمعتدلة هي التي تتلاقى فيها ثلاثة سواكن...والقوية هي التي يكون الوقوف في نهاية أجزائها على سبب واحد...» نفسه ص ٢٦٠ .

١٩- تأزير:

هذا حتر قليل، قصدت به أن يكون ضوء مشكاة ينير ما أغطش من عتمات النصوص التي تستر مغزاها، ولا تسلم ما بحوزتها من جمال إلا لمن أعرق في البحث عن الزوايا و الخبايا، و غاص في يم المعرفة الأدبية حتَّى جاء بالمقل الذي يشفي به غلة البحث، ويزود الشادي القارئ بالوقود الكافي للاشتغال في أثناء السياحة بين تضاريس النصوص القرائية. وإذا كان لي من صبابة فضل في ما طرست، فهي مكابدة عناء الجمع والاعتيام والتنقير لكل غُرَّة و فريدة تفرقت في أمَّات المصادر تفرق أيدي سبأ، ومن ثمة انتزعتها من مخبئها، فأزلت عنها كمَّها. وهل المعرفة و العلم سوى إيراد الثاني علم الأول، وزيادة الثالث في علم الآنف، حتى اجتمعت ثمار الفكر، وبدت شجرتها موسقة تغري الناظرين بقطف أثمارها رطبا جنيا؟ وقد حسبت البحث في هذه الناحية جدارا قصيرا سهل توقله، فإذا هو عنان لا يملك، ولايبلغ آفقه إلا من بلغ رتبة تتقاصر دونها همم العارفين بأسرار وعجائب النصوص الأدبية التي تتوالد فيها الأفكار و الصورِ الفنية سحًّا دراكاً، ولا ريب فالألفاظ معاريض المعاني. لأجل ذلك عملت أن أراكض آفق العبارات، وأن اصطاد بيضَ أنوقها، لأقدمها بمترهية بعيدة المصعد، تقوم اللمحة فيها بأوسع ما تأتي به الإطالة.

هذا أبلغ ما أدلي به في هذا الشأن، ولو أردت ان أقرُوَ كل ما أورده أبيناء الكلام، لطال بي الاقتباس. وفي الذي أوردته مقنع لمن ألقى السمع وهو شهيد. و الآمال المعقودة على الأساتيذ لانتجاث ما احلولى و اعذوذب لتسهيل حَزْن العوائق اللقانية، حتى يقبل الشداة على القراءة، وعلى تفسير النصوص إقبال النهم الصادي على المورد العذب.

أرجو أن يثمر ما أزهرت من الكلام، وينسكب بالماء الفرات الزلال ما جمَّعت من سُحب ليس فيها صبير، ولا برق خُلَّب.آميـــن.

المصادر و المراجع المعتمدة في الدراسة:

١- الإتقان في علوم القرآن-جلال الدين عبد الرحمان السيوطي- تحقيق-طه عبد الرحمان سعد-المكتبة التوفيقية.
٢- أساس البلاغة- جار الله محمود بن عمر الزمخشري- تحقيق د- مزيد نعيم و د- شوقي المعري طالأولى ١٩٩٨ مكتبة لبنان ناشرون.

٣- الأصول:دراسة ابيستمولوجية لأصول الفكر اللغوي العربي(النحو-فقه اللغة-البلاغة)، د-تمام حسان ط الأولى -١٤٠١هـ/١٩٨١م، دار الثقافة البيضاء.
٤- الخصائص – أبو الفتح عثمان بن جني – تحقيق محمد علي النجار – دار الكتاب العربي – بيروت.
٥- شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري – تصحيح – عبد الرحمان البرقوقي –دار الكتاب الغربي – ١٤٠١هـ/١٩٨١م، بيروت.
٦- شرح المفضليات للتبريزي – أبو زكريا يحيى بن علي الشيباني – تحقيق – علي محمد البجاوي – دار نهضة مصر للطباعة و النشر – الفجالة – القاهرة.
٧- الصاحبي- أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا – تحقيق السيد أحمد صقر دار إحياء الكتب العربية.
٨- طبقات الشعراء – ابن المعتز – تحقيق – عبد الستار أحمد فراح ط٢– دار المعارف بمصر.
٩- الفروق اللغوية – أبو هلال العسكري – ضبط وتحقيق – حسام الدين القدسي ١٤٠١هـ/١٩٨١م – دار الكتب العلمية -بيروت.
١٠- كتاب الصناعتين – الكتابة و الشعر – أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري – تحقيق - د- مفيد قميحة ١٤٠١هـ/١٩٨١م، دار الكتب العلمية، بيروت.
١١- اللغة العربية معناها و مبناها- د- تمام حسان – ط ١٩٩٤- دار الثقافة الدار البيضاء.
١٢- مبادئ اللغة مع شرح أبياته –أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي – دراسة وتحقيق، د- عبد المجيد دياب. دار الفضيلة.
١٣- مجلة عالم الفكر، مقال: حسن الأخذ و التناص. عدد ٣١يناير/مارس ٢٠٠٣م، الكويت.

الهوامش

١ النواقر: المصائب، وهو يريد هنا قصائده
٢ قال زهير : وما أدري و سوف إخال أدري أقوم آل حصن أم نساء ؟
٣ الصامت: الذهب و الفضة، الناطق: الإبل و الخيل و الغنم
٤ حسن الأخذ و التناص. عبد الله آيت الاعشير. عالم الفكر ص٢٢٧، عدد ٣١ يناير/مارس ٢٠٠٣ م، الكويت.
٥ طبقات الشعراء. ابن المعتز- تحقيق: عبد الستار أحمد فراج- ص ٩١ ط ٢- دار المعارف مصر. ذخائر العرب – رقم ٢٠
٦ لقد صح النهي عن تسمية المدينة بيثرب، لأن الاسم يشعر بالثرب وهو الفساد، أو التثريب، وهو التوبيخ و التعيير بالذنب واللوم.
٩ الأوصول: دراسة ابيستمولوجية لأصول الفكر اللغوي العربي. د- تمام حسان، دار الثقافة البيضاء.